

الى حضرات المشتركين

اجتازت «الاخلاق» سنتها الاولى وهي تشكر لاهل الفضل وأصحاب المروءة والغيرة من الاصدقاء والمشتركين اريحيّتهم وثقتهم وحسن مؤازرتهم وتنشيطهم. وتستقبل سنتها الثانية الجديدة وهي مملوءة نشاطاً في خدمة الادب، وأملاً باطراد السير الى الامام في حياة العمل والرقي

وقد شاركنا في عملنا السنة الماضية بطولها حضرة الاب جبرائيل رحال المحترم، فتولى رئاسة تحرير المجلة المدة الماضية، ولكنه اضطُرّ الان الى الاستقالة لشؤون خاصة. فعهدنا بذلك الى صحافي مشهور وكاتب قدير، فأجابنا الى طلبنا بكل رضى وطيبة خاطر وأظهر ارتياحه الى تولي رئاسة التحرير. فنحن نرجو ان تكون المجلة في عهده مشتملة على كل ما عذب وطاب من المقالات المفيدة والقصص الفريدة التي اعتاد قرّاء الصحف ان يقرأوا امثالها بقلمه السيّال

وقد صحت عزيمتنا ان نجعل سنة المجلة ابتداء من هذه السنة عشرة اشهر بدلاً من اثني عشر. ولكننا في مقابل ذلك قد زدنا حجمها ثماني صفحات عما



حضرة الكاتب الكبير الاستاذ خليل بيدس

هو علم من اعلام هذا القطر وفارس في حلبة الادب وامام من ائمة اللغة العربية وصاحب المؤلفات الشهيرة والروايات العربية الادبية التي لم يبق قارىء في هذه البلاد وغيرها الاّ قرأ شيئاً منها، امثال هنري الثامن وزوجته السادسة. وشقاء الملوك. والعرش والحب. واهوال الاستبداد. وديوان الفكاهة. والوارث. ومسارح الاذهان. والحسناء المتنكرة. ووصف الارض المقدسة. وتاريخ روسيا في عهدها الاول. ودرجات القراءة للمدارس. ودرجات الحساب للمدارس. ومرآة المعلمين. وتربية البنين وغيرها

كانت عليه من قبل فصارت تصدر في ثمان واربعين صفحة بدلاً من اربعين. وعزمنا ان نقدم لكل من المشتركين في آخر السنة كتاباً خارجاً عن المجلة نجعله هدية لحضراتهم. وسنعلن عن هذه الهدية في الجزء الثاني او الثالث من المجلة

اما قيمة الاشتراك — ولو انها زهيدة للغاية في جانب النفقات التي نبذلها لاظهار المجلة في احسن حالة من الاتقان والجمال — فستبقى بحالها، على امل ان يكون لنا من اقبال القراء وحميتهم وتعضيدهم ما ينشطنا ويضاعف امتناننا ويقوينا على موالاة التحسين والاتقان

٭ ٭ ٭

ولا يسعنا ونحن نجتاز هذه المواسم الان الاّ ان نتقدم الى قرّائنا الافاضل بأخلص التهاني بعيد الميلاد المجيد ورأس السنة الجديدة، سائلين الله ان يعيدهما على الجميع اعواماً عديدة بانعم بال وأرغد حال. وأن يوفقنا في خدمتنا هذه للامة والوطن، انه تعالى وليّ التوفيق وهو حسبنا

داود كوردي

بين الماضي والحاضر

بمناسبة عيد الميلاد

بقلم

الكاتب القدير الاستاذ انطون شكري لورنس

ملايين من الناس يجثون في يوم عيد الميلاد أمام الصليب بخشوع وحرارة خاصتين بالايام المقدسة . ولكن كم من هؤلاء يخطر في باله ان هذا الصليب لم يكن قبل عشرين قرناً لما وُلد المسيح سوى آلة الجلاد ومقصلة ذلك الزمن وكرسيه الكهربائي ، وأن ارذل الآلات البشرية قد غدت اكرم الرموز ، وان محور آلام المسيح خطأ قضائي فظيع ؟ اذ من المقرر ان السيد المسيح البريء قضت بموته محكمة قانونية احترمت الظواهر وخرقت حرمة العدالة في جوهرها بان رضيت أن تخدم أحقاد العظماء

ومع ذلك فهذا موضوع للتأمل يجمل بالمسيحي وغير المسيحي ان يخصا به اعظم يومين في النصرانية ، اي يوم عيد الميلاد ويوم عيد الفصح . لان الغريبة الظاهرية التي يقوم بها الدين المسيحي ، وهي تجسد الاله لتسلمه الى الجلاد يد العدالة البشرية، هي اساس المدنية المسيحية وينبوع عظمة العالم المسيحي، وهي القوة الخفية التي تصون تلك العظمة ما دام اهلها لا يتعامون عن الحقائق النيّرة المستترة فيها

ما هي الحقيقة عند البشر وما هي عدالتهم ؟ لقد نشد البشر الحقيقة

ادهاراً و بحثوا عن مظانها فلم يهتدوا اليها ولا تزال عندهم من الغوامض. ولكنهم لشغفهم بها قمّصوها اشكالا هي دون شكلها الحقيقي بمراحل . واذا نظرنا الى هذه الحقيقة بأشكالها المختلفة ، ابتداء من مظاهرها امام المحاكم الى اكتشافات الفلسفة والعلم العظيمة ، ومن الشرع الذي يسلم القاتل الى الجلاد حتى اعلى المكافآت التي ينالها ذوو الجدارة كالمجد والتبجيل والمراتب والثراء والقدرة ، فلا يعسر علينا اذا اعملنا الفكر قليلا ان نرى ان هذه كلها ليست سوى صورة مصغرة جداً عن المثل الكامل الذي يفهمه الانسان ويرغب فيه ، ولكنه لا يزال عاجزاً عن الوصول اليه

في وسعنا كل يوم ان نرى ، على الرغم من تقدم الثقافة ، مقدار الصعوبة في الاهتداء الى الحقيقة حتى في احقر شؤون الحياة . فالحواس تخدعنا والعقل يخذلنا والاهواء توقع التشويش في كل امورنا بأن تحوّل الحقائق المتوخاة الى سراب يمعن في البعد كلما حاولنا الدنو منه . وفي وسعنا كل يوم ان نرى شدة احتياج العقل البشري الى العدل ، ومقدار الصعوبة في حصوله عليه او إتيانه له . وليس اسهل على كلٍّ منا ان يعتقد انه عادل تجاه الآخرين وان الاخرين كلهم مخطؤون اليه ، لان رأينا في الخير والشر يتغير وفقاً للزمن والمكان وتبعاً لاهوائنا ومصالحنا التي لا تنفك في تقلُّب ، ولان عدالة البشر والحق في الحكم والمراتب الاجتماعية والعادات ونظمها كلها تقوم على اوضاع محدودة . وهي لا تنتج الا عدالة نسبية لا يقبلها الناس قبولهم للعدالة المطلقة الا رغبة في التفاهم وحسم الشر ، والا بقينا في نزاع مستمر لتغليب العدالة المطلقة التي يظن كل منا انه متفرد في معرفة نوعها

وقد فطن العقل البشري لهذا الضعف منذ اخذ يفكر في احوال العالم ، غير ان البشرية حتى ذلك اليوم الذي يذكرنا به عيد الميلاد قد عاشت في

الخوف من تلك الحقيقة . ولم يكن كافياً ان يقبل الناس الاوضـــاع المحدودة النسبية التي يقوم عليها النظام الاجتماعي كانها مظهر الحقيقة والعدالة المطلقة ، بل كان حتما عليهم ان يؤمنوا بها ويعبدوها ويحاذروا الشك والمناقشة فيها ، مسلمين بأنها في الحقيقة هي الكمال الثابت النهائي . وكان اولو الامر يخشون ان يسمحوا للناس بالتطلع الى ما يستتر وراء هذه الاوضاع لئلا ينكروا مافي النظام الاجتماعي من النقص ويثوروا على السلطات كلها . فالسلطة والثروة والشريعة قد أُلهت ليحال دون كل مناقشة في ذلك النظام الناقص الجائر الذي كان ينبغي للناس ان يقنعوا به

وقد قامت في العالم المسيحي ملكيات مطلقة وارستقراطيات ممتـــازة ، ولكنهما كانتا تحديا ضئيلا للملكيات الاسيوية والارستقراطيات اليونانية اللاتينية . فان الملوك الاسيويين كانوا آلهة من لحم وعظم ، ولم يكن في وسع احد ان يدنوَ منهم الا بشعائر دينية خاصة . وقد بلغ هذا التمويه في بعض الاقطار ، كمصر مثلا ، مبلغاً كان حتما عنده على الملوك ان يتزوجوا بشقائقهم لئلا تفسد أُلوهيتهم بمزجها بدم البشر . وقد اضطرت كليوبترا ان تسند بالجند الروماني عرشها المتداعي، لان والدها بطليموس لم يكن متحدراً من زواج كهذا. ولذا ارتاب المصريون في الوهيته والوهية اولاده وظنوا من حقهم ان ينكروا سلطتهم ايضاً

والارستقراطيات القديمة ، وقد كانت صوراً مصغرة عن الملكيات ، حاولت هي ايضاً ان تظهر امام الجماهير كانها من غير العنصر البشري. وقد نبتسم عندما نقرأ ان يوليوس قيصر كان يزعم ان اسرته متحدرة من الزهرة ، غير انه لم يكن صاحب هذه البدعة ، ولم يأت شيئاً جديداً ، فان النظام الارستقراطي في العالم القديم كان قائماً على مثل هذا الخداع الذي كان يحول دون كل مناقشة فيه ، وكذلك الشرائع التي كان يتذرع بها للمحافظة على نظام مـا . لان الجمهوريات

القديمة لم تكن تختلف عن الملكيات من هذه الوجهة . ولم يكن احد يجسر ان يمس المبادىء الوضعية المحدودة التي كان يقوم عليها النظام الاجتماعي خشية الموت او النفي . وقد كان على عظماء الفلاسفة انفسهم ان يتحرزوا ويراقبوا افكارهم ، الا اولئك الذين احبوا كسقراط ان يلعبوا بالنار

وليس في مقدور احد ان يصف ما عانته البشرية من العيش في الخوف من هذا الجور الرهيب واضطرارها ان تحترم شرائع غاشمة وعـــادات بربرية واوضاعاً ناقصة احترامها للكمال المطلق . فقد كان هذا ابهظ نير ناء به الانسان ، وكان من الضروري حتى من الوجهة البشرية ان يتحرر منه. وهذا التحرر ابتدأ بالحادث العظيم الذي يحتفل العالم المسيحي بذكراه في هذه الايام

ان المدنيات التي كانت قبل المسيح قد مزجت البشري والالهي في اوضاعها الاجتماعية بأن نسبت الى هذه الاوضاع الكمال الذي كان ينبغي ان تكون الالوهية وحدها مثالا له. وقد ازرى هذا المزج بالبشرية والالوهية معاً بتقديسه من نقائص الحياة ما كان احوج الى الاصلاح . فجاء المسيح وفصل بين العنصرين فصلا تاماً . فكان الله وحده هو الكمال ، ولم تعد صنائع البشر حتى السلطة والثراء والمعرفة هي الكمال ، بل وسائل للدنو منه اذا أُحسن استخدامها ، واشياء بشرية قابلة للفساد والفناء ، وفي وسع الفضيلة والرذيلة ايضاً ان تستخدماها كآلة . وغدا للانسان الحق في ان يكشف ويشهر نقائص العالم في العادات والاوضاع والشرائع على ان يبذل الجهد الضروري في تحسينها . وزعزت اسس كل اشكال السيادة المطلقة التي كانت للانسان على الانسان وابتدأ عهد الحرية العظيم

نعم قامت في العالم المسيحي ملكيات مطلقة وارستقراطيات ممتازة ولكن اين هي من ملوك المشرق الالهة والارستقراطيين المتحدرين من الزهرة والمريخ انهم كانوا بشراً ضعفاء بائسين كغيرهم ، حسابهم عند الله اعظم لانه سلطهم على

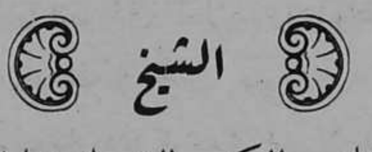
امثالهم . والويل لهم اذا اساءوا استعمال السلطة ، فان الله في وسعه ان ينتزع في كل حين ما وهب. ولم يعدم العالم المسيحي في زمن من الازمان مؤولين ومنفذين لارادة الله الناقم على السلطات المنحطة ، واستطاع هؤلاء ان يستخدموا القلم كما استخدموا السيف

ذلك الانقلاب الديني العظيم هو الذي افهم الناس قبل عشرين قرنا ان ولي الامر لم يكن هو الكمال ولم يكن ممكنا ان يكونه ، وان في عبادته فظاعة وتدنيساً للمقدسات . ومذ ذاك اصبح للبشر الحق في الانتقاد وابداء الاستياء ، وغدت الحقيقة والعدالة شبيهتين بظماء يشتد في الناس كلما حاولوا ارواءه . واصبح الناس كلما اقتربوا من ينابيع الحقيقة رأوا انفسهم ابعد عنها ، وكلما ازدادوا استياء من جهلهم رأوا المسافة تتسع بينهم وبين الحقيقة الكاملة التي ينشدونها بتوق عظيم ، وكلما صقلوا من عاداتهم وعدلوا من شرائعهم وخففوا من مظالم الاقدار العمياء في مجتمعهم ازدادوا شعوراً ان العالم صورة مشوهة عن الكمال الذي يقلق توقهم اليه حياتهم ويجعلها خليقة بان تُعاش

واصبحت الشعوب على هذا الوجه في عمل لا يزال في تجدد . ولكن بحثهم المستمر عن ذلك المطلق الذي عجزوا عن ادراكه افضى بهم الى نتائج باهرة فانهم كشفوا الدنيا ويعملون في عمارتها وتوحيدها ، وسلبوا الطبيعة اسرارها والارض كنوزها ، وقرنوا الحرية بالنظام ، واخضعوا القوة للعقل والحق ، وبلغوا بمبدإ المساواة الادبية فيما بين البشر الى ابعد نتائجه ، وقرروا اشتراكية العلم الذي كان فيما مضى مقصوراً على اقلية ضئيلة

غير ان العالم الحديث الذي اثملته انتصاراته اخذ يظهر الرضا عن نفسه وتسرب اليه الاعتقاد انه اوجد الحقيقة المطلقة او انه غدا من السهل عليه ايجادها. وكانه يحاول السقوط في الوهم نفسه الذي جمَّد المدنيات القديمة . غير ان الوهم قد

جاء الى تلك المدنيات عن طريق الخوف والارهاب ، وهو يتسرب الى العالم الحديث شيئاً فشيئاً عن طريق الكبرياء . فان قوة الاهواء الشريرة التي تحملنا على اتيان الفظائع والمنكرات لا تنقص لان ثروتنا ومعارفنا وقدرتنا تزداد ، بل ان تلك القوة قد تزيد بسبب كثرة الوسائل . ولكن العالم اليوم لا يقف خانعاً خاشعاً امام مثل هذه الفظائع والمنكرات شأنه فيما مضى ، وليس من قوة تحول دون ان يبدي اشمئزازه منها وانكارها على فاعلها . وفي هذا دليل على ان روح الانجيل لا تزال تعمل حتى في اولئك الذين لم يقرأوه . ولا ريب ان هذا الروح سيظل عاملا مذكراً اهل عصرنا ان عدالة البشر، على الرغم مما يبذل من الجهود في سبيل تحسينها، لا تزال آلة قابلة للاخطاء معرضة للاهواء، وانه من الضروري العمل على الدوام لادنائها شيئا فشيئا من عدالة الله الكاملة التي لا يعروها الضلال



الشيخ

بقلم الكاتب الكبير الاستاذ خليل بيدس

كالسيدة العظيمة الغنية وقد خرجت من المعبد، فرآها جمهور من الفقراء والمساكين كانوا يملأون رحبات ذلك المعبد، فهرعوا اليها، ثم أطافوا بها من كل جانب، وهم يتزاحمون حولها ويتدافعون، يسألونها الصدقة والاحسان، يبكون ويشكون. وكل منهم يجتهد ان يصف لتلك السيدة بلواه بلغته الخاصة واسلوبه الخاص. وكل يحاول ان يفوز منها بنظرة عطف، او يسمع كلمة حنان...

كذلك «الحياة» وقد برزت في ساحات المدينة وشوارعها. ورآها الناس

فأحاطوا بها، وهم بين واثب على قدميه وزاحف على بطنه، كالضفادع والحيّات وقد بلغ منها البرد، فشلّ قواها وأفقدها سُمها . .

وكان البعض من اولئك الناس يتجمعون حول «الحياة» يصخبون ويضجون . وآخرون يصرفون باسنانهم ويتواثبون . . وكل منهم يشكو همه وما يقاسي من الضعف والمرض، او الفقر والحاجة، او الخيبة والفشل . . وكل يُعرب «للحياة» عما في خاطره من الآمال، وعما في نفسه من الاماني . وقد عطفت هي عليهم وعلى شفتيها إبتسامة رزينة، ثم أصغت اليهم تسمع أقوالهم

قال لها غنيٌ منهم وقد ظهر في وجهه الغضب وفي صوته الحدّة: «انك فقيرة وضئيلة ايتها «الحياة» . فقد طفتُ الارض بأسرها، ورأيت أطلال الماضي، وعرفت آمال الحاضر، فلم أحفل بالمستقبل . . . كنت أظن ان هباتك لا تحصى، وكرمك لا حد له . . ولكني لا أرى الان في الارض ما أتشوق الى رؤيته، او أروم الحصول عليه . . كنزت الفضة والذهب مثل التراب . بيدَ اني أعددت هذه الثروة، وغيري يرثها . . إمنحيني رغائب جديدة . أرشديني الى أُمنية أشتهيها وأسعى اليها . أحيِ نفسي بآمال اخرى ألهو بها . إكشفي لعينيّ مجاهل لا عهد لي بها من قبل لاتلذذ بالاقدام على اكتشافها . . غير انك لا تفعلين شيئاً من كل ذلك . وليس لديك شيء جديد . وقد عرفت كل شيء فيك، ولم يبق ما أصبو اليه . فأنتِ فقيرة، فقيرة ومسكينة . . »

وقال لها عبد في رعشة واضطراب: «أشفقي عليّ ايتها «الحياة» . ان الاقوياء وأصحاب الاموال قد تمالأوا عليّ وروّعوني ونصبوني هدفاً لهم، فحملوني من الاعباء ما لا قبَل لي به . لقد أخذوني بالعسف وداسوني بالاقدام وبطشوا بي . وليس لي من الوقت فرصة أتنفس فيها وأبلع ريقي . وليس لي من الخبز ما أسد به رمقي ورمق اولادي . وها انهم يموتون جوعاً، ولا من يرحم، ولا من

يشفق . . فأوعزي الى هؤلاء النـاس ان يرأفوا بي ويخففوا نيرهم ويكفُّوا عن تجريعي المرارات . . إفعلي ذلك إن كنتِ عادلة وشفيقة . . »

وقال حكيم : « من انتِ ، وماذا تريدين ، وما معنى وجودكِ ايتها « الحياة » ؟ ماذا تريدين بهذه المهازل التي تمثلينها ؟ لماذا يشقى هؤلاء الناس ؟ ألمثل هذا وُجدوا ؟ وما هو سر هذا الوجود ؟ . . أجيبي إن كنتِ عاقلة وحكيمة . . »

وقال شاعر : « انتِ حمقاء ومجنونة ايتها « الحياة » وليس فيكِ ذرّة من العقل . انكِ كالطفل الذي يلعب ، ثم تضجره لعيباته فيحطمها . نعم انكِ كالطفل . لانكِ تحطمين بطياشتكِ ورعونتكِ كل عمل تعب عليه الناس . . آه منكِ ايتها « الحياة » ! ايتها الامَة الشحيحة الضنينة . انكِ تسخرين بأنبل ما يشعر به الانسان . تسخرين بالحب وبكل عاطفة شريفة . . نعم يا ابنة الابالسة ولعبة الايام . . انكِ تزدرين الانسان وعمله وشعوره ، وليس لاحد ان يدرك مدى طغيانك . . »

وقال رجل أصلع أدرد نحيل الجسم أصفر الوجه : « اغتررتُ بكِ فخدعتني ، وركنت اليكِ فقلبتِ لي ظهر المجن . . فقد كنت فتى وأحببت بكل قوى قلبي . وقفت نفسي لحب فتاة جدتِ عليها ايتها « الحياة » بأحسن ما لديكِ من عافية وجمال . ولكنكِ لم تلبثي ان جعلتِ في ثمالة كاس سعادتنـا وغبطتنا سماً خبيثاً ، هو سُمُّ المرض العضال الذي سرى في جسمي القوي فهده ، ونغصتِ عليّ وعلى محبوبتي كل عيش ، وكنتِ بذلك شراً من قطاع الطرق الذين يكمنون للنـاس ليفتكوا بهم وينهبوا نفائسهم . فماذا أرجو بعد الذي كان من غدركِ ولؤمكِ ؟ »

وقال رجل وقد أخفق في أعماله : « وانا . . وقد أضعت صوابي وفقدتُ كل أمل في النجاح ، وضاقت الدنيا على رحبها في وجهي ؛ فلم يستتب لي أمر . . فهلّا هديتني وأخذتِ بيدي لادرك ولو قليلاً مما تطيب به النفس ويهفو اليه القلب . »

وقال آخر : « وانا أردت ان اكون مرشداً للناس ، أقودهم الى مراتع الهدى

والخير، فعبثتِ بي وذهبتِ بلبي، وشوشتِ عليّ عملي، فلم أعد أُميز الحقيقة من الضلال، وعدت بصفقة المغبون، وقد كلّ طرفي من الكآبة، وصار كوني بجملته ظلاً . .»

وقال غيره وكان من هواة الفنون: «وددت ان أرسم وجهكِ بألوان كثيرة على حسب اختلاف هيئاتكِ وأشكالكِ، فلم تسعفني موهبتي، لانكِ عرقلتني ولففتِ عليّ أُحبولتكِ. وكنت كلما توقعت الخير غشيني الشر، وكلما انتظرت النور غشيني الديجور . .»

وقال آخر: «وانا أردت ان أُدون تاريخ اعمالكِ فغشيتِ سبلي بالظلمات، وقد انقضت أيامي وتقطعت مآربي، فلم أفعل شيئاً . .»

وقال غيره: «آه ايتها الظالمة . . لقد أحببت ان اكون موسيقياً معزّفاً، ولكنكِ جعلتني باصابع قصيرة، فلا أدري الان ماذا أعمل غير ذلك . .»

وتقدم بعده آخر وكان اعمى، فقال وهو يرتعش ويتلهف: «وانا الاعمى . . لمَ خطفتِ بصري وحرمتني نور الشمس وجمال الكون؟ . .»

وتبعه رهط من الصم والبكم، ثم رهط آخر من ذوي الفاقة والذل، وقد براهمُ العوَز والجوع، وعراهم الخوف والرعدة، فاضطربوا وزمجروا وهم يشكون «الحياة» ويظهرون كراهتهم لها واستياءهم من ظلمها وعسفها . .

ولم يكن في حبور وطرب بين تلك الجماهير الا الاولاد والسكارى. وقد قال احد هؤلاء وهو يتهادى من السكر ويصيح معربداً: «اطرديهم . . اطرديهم جميعاً . . يا لهم من حمقى ومجانين . . يلغطون بالباطل ويقولون ما لا يفهمون! . . ترُى من يسقي الانسان خمراً إن لم يسعَ هو بنفسه اليها ويشربها؟ وهل في غير الخمر لذة الانسان وحياته؟ . .»

قال ذلك ثم قهقه ضاحكاً ومضى في سبيله

وكان هناك نساء كثيرات مَهيضات القوى . ضربهنّ الدهر بشدائده وسحقتهنّ المصيبة ، فندبن سوء حظهنّ وكرهن الانوثة ، وعافت نفوسهنّ الامومة . أحببن . . وكنّ تاعسات في الحب . وقد خابت آمالهنّ ومزق الفشل قلوبهنّ . . هؤلاء النساء وقفن بين الجماهير يتوقعن الموت وهنّ هائجات صاخبات ، يلطمن الخدود ويذرفن الدموع ويتوهجن في النحيب . .

وكان كثيرون من المجتمعين قد بلغ منهم اليأس فقتلوا انفسهم ، اما لان بعضهم أحبوا ، ولم يبادلهم احد هذا الحب ، فآثروا ان يثأروا لانفسهم من انفسهم ، او لان البعض الآخر لم يصادفوا نجاحاً في اعمالهم ، وقد اشتدت عليهم أعباء الحياة ، فشعروا بهوانهم وخورَ عزائمهم ، فقطعوا حبل حياتهم بايديهم ، ولم يشعر بوجودهم او بموتهم احد

وكان الجميع كانهم اسراب الذباب الثائرة في شدة القيظ يتألبون بعضهم على بعض ثم يفترقون بحنق ، والكل يشكو ، والكل يتذمر . الا جماعة الاطفال . فقد كانت اصوات مرحهم ولهوهم وضحكهم تتصاعد بين تأوهات القوم وزفراتهم كانها خرير الماء في جدول بعيد يجري في صحراء متقدة . .

☆ ☆ ☆

وظهر شيخ يخترق تلك الجموع وهو يمشي الهوينا متجهاً نحو الشمس وهي تفيض بأشعتها المسائية على تلك الارجاء القاتمة

وكان يسير هادئاً صامتاً غير مبالٍ بذلك الضجيج المنبعث في كل مكان من تلك الجماهير . وقد نظر الى ما حوله من مشاهد الطبيعة يتأمل في الانوار الارجوانية التي بدت بها سماء ذلك المساء

فصاح جمهور من الناس : « وانت ايها الشيخ ! . . فما شكواك ؟ . . »

فقال وفي عينيه بريق السرور : « ليس لي ما أشكو منه . فقد قضيت شبابي

صديقاً للحياة، و بلغت مشيبي وانا لا ازال صديقها الحميم . اغترفت كل ما استطعت اغترافه من ينابيع نعمها، ونفسي طافحة حبًّا لهـا . كان دهري بهياً سنياً، وهو كالشمس التي تلعب دوماً على قمم جبال الثلج، او كالسماء المتلالئة بالنجوم في ليالي الصيف الحارة . أحببت، وأحببت مراراً . وتألمت، وتألمت مراراً أيضاً . ولكني أفتخر بآلامي لانها كانت صادقة ونقية . لم أزد هذه الآلام شدة بزفراتي، ولم أُخففها او أبددها بحنقي »

« في ايام حزني كانت النسآء اخوات محبة لي، وفي سني حبي وعنفواني كنَّ مصدر شعوري وعواطفي . وقد علمت ان الحزن يجلب الموت، وغمة القلب تحني القوة . وعلمت ان الكآبة كالعث في الثوب والسوس في الخشب . فكنت اذا أُصيب قلبي بحزن او نزل بي ضيق لا أتمادى في ذلك الحزن ولا أضيق ذرعاً بهذا الضيق ولا أدع للكآبة سبيلاً الى نفسي »

« تمتعت بالفضآء الواسع، وحرج السجون لم يعق حرية روحي . وقد علمت ان الحياة قادرة على كل امر فلا يتعذر عليها مراد، فلم أضل عن مطالبها »

« كنت في وقت الشبع أذكر وقت الجوع، وفي ايام الغنى أذكر الفقر والعوز . و كنت أتحذر في كل شيء وأحترز من الهفوات، لان الزمان لا يدوم على حال، وهو بين الغداة الى العشيِّ يتغير، و كل شيء سريع التحول »

« كنت حيناً من الزمن ثائراً متمرداً . وقد كافحت اعدائي بسرور وبغضب معاً . وكانت نفسي تسر اذا غَلبت، ولا تيأس اذا غُلبت، لان الثقة بانتصار الحق كانت راسخة فيَّ، فلم يكن لتقلبات الايام سبيل اليها »

« وقد أدركت ان الجهل موت . وحاولت ان أعرف كل شيء لان المعرفة حياة . والمعرفة والجهل امام الانسان، فما أعجبه من كل منهما وحاول ادراكه يُعطى له »

«لم اتزعزع خوفاً من عاتٍ، ولم يغلبني كلام جبار. وقد درجت قدماي في الاستقامة، فحرصت على الخير، ولم تمل أُذني الى الشر. لم تنطق بالسوء شفتاي، ولم يهذَّ لساني بالبهتان. لم أتبع هواي، ولم أسر في شهوات قلبي، فلم أُخذَل في اكثر الاحوال ولم أخزَ»

«أحببت جميع الازهار، كما أحببت جميع الوان الارض، والانسان في جملة هذه الازهار والالوان، بل هو أحسنها جميعاً. وقد كان هذا الانسان في نظري أُعجوبة العجائب وأغرب الالغاز. وقد قضيت عمري بطوله وانا أرقبه وأتأمله، لا أتعب ولا املّ»

«رأيته ضالاً فتألمت نفسي، ورأيته راشداً فابتهجت. وكنت كلما بدت لي شروره امقت جهالته وحماقته واجتهد في اصلاحه وكبح جماحه. ولكني في ساعة الغضب لم اعرض عنه ولم أزدره»

«لم اسع للحصول على رضى الناس واهتمامهم بي. اذ لا قيمة عندي لما يقدمونه لي، بل لما أُقدمه انا، ولا تقدير لما يقولونه فيّ، بل لما اقوله انا»

«لم اكن مرائياً في وجوه الناس، ولم اتقلب مع كل ريح. وقد عشت وحيداً. عشت في نفسي. وكل ما كان الناس في حاجة اليه مني، قدمته بطيبة خاطر، وما كنت انا في حاجة اليه، كتمته في اعماق قلبي، فلم أُرهق احداً بشكواي، ولم أُضايق انساناً ببث آلامي»

«لم أُقاسم البشر دموعي وأشجاني، ولكني شاطرتهم ضحكي وسروري، فلم ابخل على احد بشيء من هذا. لم ازدر احداً ولو صغيراً. ولم احتقر شيئاً ولو يسيراً. وكنت عيناً للاعمى، ورجلاً للاعرج. لم أُحجم عن اعمال البر، ولم يحبسني شيء عن قضاء الواجب»

«عرفت سر الحياة. وعرفت ان الانسان يولد بالاوجاع، وانه قليل الايام

كثير الشقاء، وهو كالزهر ينبت ثم يُقطع، وكالظل يبرح ولا يقف. فكانت نفسي تقبل كل ما تريده الحياة، ولكنها كانت تميز بين رغائبها الكثيرة، ولا تخطىء في تقديرها وتصريفها في الوجه الاتم . . »

« والحقيقة التي لا مراء فيها في هذه الحياة هي ان كل عمل فاسد يزول، وعامله يذهب معه، وكل عمل حسن يبرَّر، وعامله يكرم لاجله»

« اخذت من الحياة كل ما استطعت ان آخذه منها، ولا ازال استمد من نعمها وبركاتها. لاني لا ازال حيًّا، ولا ازال اعمل، ولم ينته أجلي، مع اني أشرفت على النهاية، ولا يلبث مصباح يومي ان ينطفىء. ولكني، وانا في طريقي الى عالم الابدية، الى الرقدة الاخيرة، اراني نشيطاً مبتسماً كهذه الشمس التي ترقد ليلاً بعد ان تكون قد أفاضت في نهارها على العالمين كل أشعتها، كل قواها ومسراتها»

« عشت سعيداً . وقد اهتديت بنور الحكمة، فطبت نفساً في اوائلي، ونلت حظوةً في اواخري . وكانت مدتي أشرق من الظَّهيرة، وظلمتي مثل المصباح . وقد شبعت من الايام، فأمضي الان بسلام . . . »

☆ ☆ ☆

قال الشيخ هذا ومضى في طريقه في دعة وطمأنينة

وقد تبعه الاطفال وهم يمرحون نشاطاً

للقاء « الحياة » . .

خليل بيدس

لا شيء جديد

لحضرة الاب المحترم

الخوري نعمة الله فرحات

طمست يدُ الايـــام، بالدورانِ عاماً مضى، وبدت بعامٍ ثـــانِ!
وكذا الزمان، تصرّم، وتجدّدٌ، ماضٍ، وآتٍ، ذو جفا وتدانِ!
والدهرُ مركبة، على كتفِ الورى يجري، ومن أعجالهِ الملوانِ
يمشي بنـا، نهباً، ووثباً، راكضاً وعتيقـه، وجديدهُ سيّـانِ
يتعقب الطفلُ الفتى، والكهلُ يتلو الشيخ، مندرجين في الاكفانِ
تمضي السنون، ولا جديد فوقَ هذي الارضِ، إلا كل شيءٍ فـانِ!

☆ ☆ ☆

إن الحياة رواية، والكل في الدنيا يمثـــل دورهُ، في آنِ
وجميعهم يسعون جهدهمُ لكي يسبوا العقولَ بجودة الاتقـانِ!
ويخلّفونَ بعُيـــدَ ذاك لغيرهم أشيـاءهم، في المسرح الانسـاني
حتى يشاء الخالق الكون الذي يطوي الستار الى مدى الازمانِ!

☆ ☆ ☆

لا شيء في الدنيا جديد، ليس تحتَ الشمس غير طوارىء الحدثانِ:
إلا البكا، والنوح في دار الشقا، وتجدد الاتراح، والاشجانِ
لا صفوَ، لا فرح يدومُ بها، ولا من عزةٍ تبقى، ورفعة شانِ!
يوماً نُسرُّ، وأشهراً نشقى، فما تحت السما، الا صنوف هوانِ!

حسد، وحقد، نقمة، وظلامة، وتطاعن بمجامع الاضغانِ
وتطاحن، وتشاحن، وتخاذل، وتعصب للجنسِ، والاديانِ
صدّ وإعراض، ريا، ونميمة لذاعة الاعراض كالثعبانِ
وطماعة، وربا بدينٍ، واتجار بالابا، والكفر بالاحسانِ
وفساد أخلاق، وفسق فاحش، وخلاعة، بالشيب، والشبانِ
وتفرنج بتبهرج، أزياؤهُ العوجاء، مفسدةٌ جمالَ حسانِ
وغوى، وإلحاد، وغدر بالولا وخيانة للدين، والاوطانِ!
لا. ليس فوق الارض شيء نافع، إلا اتباع شرائع الرحمانِ!

* * *

هل من جديد يا ترى يأتي بذا العامِ الجديد، ببعضِ الاطمئنانِ؟
لا. ليس غير الليل يعقبه النهارُ، ونحن في حصن الزمانِ اثنانِ:
متعقّل، يمشي على نورِ الهدى، فاذا به كالنورِ للعميانِ
وأخو عمى يغشى الظلام، محاولاً ستر الحقيقةِ في دُجى البطلانِ
ينساب لذاعاً، وفي شدقيه صلٌ نافث سماً من الاسنانِ
وببطنِ كفيه صحون، طائف فيها على الطرفين. يا للجاني!

* * *

مهما تبدّلتِ العصور، فلا يزالُ الذئب يطرقُ مربض القطعانِ!
لا ينثني — ولو انّ صوت الكلب والرعيانِ، بُحّ — عن افتراسِ الضانِ!
وكذاك، فالسمك الصغير يظلّ ما امتدت بحارٌ مأكلَ الحيتانِ!
فكذا النفوس مطاعم لمطامعٍ في كل آونةٍ، وكل مكانِ!
فبأيّ عهدٍ لم تغرّ الحيةُ الرقطاء حواءً بوسط جنانِ؟
في أي يومٍ، لا يُمثّلُ دورُ قابينٍ وهابيل البري لعيانِ؟

بل ، أي وقت ، لا تشاهدُ فيه يو حنا ، وهيرودَيّة ، العينـــانِ ؟
ومثـــال يوضاسٍ يسلّمُ قومهُ ، وبلاده بالاصفر الرنّـــانِ ؟
« والجاهل العـاتي يقول بقلبه : لا ربَّ ، لا خلّاقَ للاكوانِ » ؟
قد كان هذا ، وهو حالاً كائنٌ ، ويكون ، ما دام الزمان الفاني !

٭ ٭ ٭

لا شيء في الدنيا جديد ، غيرما نلقاهُ من يأسٍ ومن خذلانِ !
لا شيء غير رحى الحروب تدور فو قَ جماجمٍ ، بمدافعٍ ، وسنانِ
أو باقتصادٍ منه ينتحب الورى ، والضيقُ يشمل سـائر البلدانِ
حتّامَ تشكو الظلمَ إنســانية ، وتظل تسبح بالنجيع القـاني ؟
والى متى « تجري الرياح بعكس ما تبغي السفائن » ، (والمدبر)[١] دانِ
فاستصرخوه ! يقل : أيا بحرُ اسكتَنْ ، أُسكنْ ! فننجو من أذى الطغيانِ !
ونقابل العـــام الجديد ، بعونهِ بسعادةٍ ، ومسرةٍ ، وأمـــانِ !..

(١) « اشارة الى باري الكون ومدبره »

الام هي الامة

بقلم الاستاذ رفول سعاده

كانت المرأة في الاعصر المظلمة في اوربا وغيرها من أقطار المعمور ينظر اليها نظرة احتقار وازدراء ، كأن ذلك المخلوق المسكين لم يوجد الا للتمتع بجماله

وقضاء الاوطار منه، كانت سلعة في ايدي الرجال تباع وتشترى في الاسواق، كانها متاع وجدت للبيع والمزاد العلني، بينما هي جوهرة ثمينة اعطيت للانسان من لدنه عزّ وجل لتكون شريكة له ومعاضدة له أدبياً ومادياً في كفاح الشدائد ومجابهة مشقات هذا العالم. نعم انها خلقت لدرجة اسمى مما كان يظن بها لان الام هي الامة ومن ثمارها يشاد صرح الهيئة العمرانية، نهض الغرب والشرق غافل غارق في سباته العميق يجهل كل الجهل ان كل ما تقاسيه بلاده من جهل وعسف وظلم انما سببه ظلم المرأة وفرض الحجاب عليها قسراً والغض من شأنها باعتبارها قاصرة سفيهة طول عمرها، ولست اريد بالحجاب ذلك البرقع على اختلاف هيآته وألوانه ولكن اريد بالحجاب عيشة العزلة والذل التي كانت تحياها المرأة الشرقية ولم تزل حتى عصرنا الحاضر، عصر التمدن والحضارة. نهض الغرب وجعل مرمى سهمه مهمة المرأة وواجبها وما لها من نفوذ وتأثير، فبحث ودرس ونقب وبعد تمحيص واختبار عملي تيقن ان اصلاح المرأة واخراجها من قيودها، واعترافه بحقوقها، انما هو ازالة مرض مزمن واقتلاع جرثومة سامة، كان تفشى سمها في عصورها المظلمة فاقامت حصناً منيعاً في وجه التقدم والارتقاء والنشوء مدة غير قليلة من الزمن لان اصلاح المرأة لا تعود فائدته على المرأة وحدها، وانما هي تشمل الرجال، بل تشمل حياة الامة باسرها لان وظيفة المرأة كما قلنا سابقاً هي الامومة، فاذا جعلنا منها أُماً صالحة تؤدي ما عليها من واجبات التدبير المنزلي وتربية أبناء الشعب واعداد الجيل الناشىء للمستقبل اعداداً نافعاً، وبذلك نكون قد خلقنا أُمة جديدة وجعلنا منها صرحاً متيناً لانها هي قوام العائلة هي تاج مملكتها فان فسدت فسدت ثمرتها، ومن أمثال الانكليز «ان الغصن يميل حيث تميل الشجرة» اي ان الفرع يتبع الاصل، لذلك ما يتلقنه المرء في طفولته من الارشاد والتعليم يؤثر في خلقه ويبقى أثره مدى الحياة

فمن هنا يتضح جلياً ان تأثير المرأة في الاجتماع لا يختلف فيه اثنان . جهلته البشرية مدة فشقيت وتأخرت ، ولما ادركته جرت في ميدان التقدم شوطاً ولا تزال سائرة الى الامام الى ذروة المجد والقوة ، ومن المشهور ان عظماء الرجال كثيراً ما يكونون موفقين الى زوجات لهن ا كبر الاثر في حياتهم وفي ما بلغوه من اوج المجد والعظمة ، حتى قال بعض العلماء «قلما تجد رجلا وصل بعمله الى غاية المجد دون ان ترى بجانبه امرأة فاضلة . ان المرأة الصالحة لها أعظم أثر في حياة الرجل فهي تقويه على العمل وتدفع به الى معترك الحياة نشيطاً ممتلئاً قوة واملا ، أجل ، ينزل الى الميدان وبيده أسلحة ماضية تضمن له الظفر والنصر ، وتسهل له الحصول على كل ما يشتهي من ثروة ومجد ، مجد له منه فخر النضال والجهاد ، وثروة له فيها لذة وسعادة»

ايدرك الان الشرقيون ما للمرأة من منزلة سامية واهمية عظمى في تشييد صرح الانسانية وما لها من تأثير في حياة عظماء الرجال ، وكيف اوحت الى تلك الادمغة الكبيرة والعبقريات الخالدة ان تنفع العالم والانسانية وان ترقى بهما الى هذه الذروة العالية من الحضارة والمجد . والذين يتتبعون تاريخ كبار الرجال وسيرهم في الماضي والحاضر يرون صدق هذا القول في ما للزوجة من تأثير في حياة زوجها وتشجيعه على النهوض بالاعمال النافعة او مشاركتها له اذا إقتضت الاحوال في كل ما من شأنه ان يرفعه بين قومه ويعود على قومه ووطنها بالخير والهناء . واكبر برهان على ذلك قرينة الزعيم الهندي غاندي الذي وجد من مساعدتها وتأييدها ما شجعه على النهوض والسير في مطالبة اليد الاستعمارية بالحقوق الهندية

اذاً يجب علينا إزالة تلك العقيدة المتأصلة في طبعنا وهي الازدراء بمقدرة النساء ولو كنّ من النابغات . ومن الحجج التي يوردها بعضهم لتمييز الرجل على

المرأة قولهم ان وزن دماغه يزيد عن وزن دماغها ، وهذه حقيقة لا سبيل لانكارها غير انه قد ثبت أيضاً ان العبرة من هـذا القبيل ليست بوزن الدماغ بل بعدد الخليات العصبية التي يتألف منها ، وليس ما يدل على تفوق أحد الجنسين على الاخر في هذا المضمار ، بينما هي تمتاز على الرجل بتلك العاطفة المغنطيسية الجذابة التي لها أعظم أثر في الهيئة

ان ما تقدم لهو دليل كافٍ على جهاد المرأة المتواصل في سبيل حريتها ونفوذها حتى وصلت في عصرنا الحاضر الى ذروة الشهرة وبلغت منزلة ما كانت تحلم بها من قبل . كان من نتيجة جهودها ان تغيرت أنظمة دول كثيرة ، ونقحت دساتيرها وأُتيح للمرأة ان تبرز في ميادين الاعمال على قدم المساواة مع الرجال . ومما تصفحناه في الجرائد من هذا القبيل هو انه عندما جرت انتخابات الرُّئاسة الاخيرة في اميركا كان للمستر هوفر في ولاية اهايو منافسة ذات نفوذ كبير هي السيدة فلورنس ايلين القاضية بمحكمة احدى الولايات العليا، وقد فازت هذه السيدة على المستر هوفر في تلك الولاية إذ نالت ٩٥٣١٢ صوتاً بينما المستر هوفر لم ينل سوى ٧٠٠ الف صوت فتأمل نفوذ المرأة في هذا العالم الجديد .

اذاً الى الامام ايتها المرأة الشرقية واقتدي باختكِ الغربية دائسة المصاعب ومحطمة القيود في سبيل رفع شأن هذا الشرق والسلام


ابن امه

— قصة —

نشأ سعيد مغموز النسب مجهول الاب فكان الاولاد يسخرون منه ويعبثون به ويسرفون في ذلك حتى يخرجوا به عن طوره فيشتد بغضاً لهم وحقداً عليهم وهم يهزأون به ويعيرونه بابيه ويلقبونه «بابن امه» دلالة على ان لا اب معروف له، ولكم اثار هذا اللقب غضبه وضغينته وكم دفعه الى مقاتلتهم فكثيراً ما عاد الى امه مقطع الثياب مثخن الجراح ومرارة الالم بادية في عينيه ودلائل الحقد والحفيظة ظاهرة في ملامحه لا تقوى طبيعة الطفل بما فيها من مرح وطهر وسذاجة على محو تلك المرارة واخفاء معالم ذلك الحقد، والعواطف في الاطفال اكثر ظهوراً واوضح معالم منها في الكبار، وكانت امه في مثل هذه الحالة تأخذه باللين والمداراة والحيلة حتى تهدأ ثائرة غضبه ويعود الى سكونه ويكف عن طلب معرفة ابيه، وقد برعت امه في ذلك وعلمتها الايام كيف تقابل غضبه وتسري عنه

وكانت هذه الام منبوذة من الناس لجأت الى بيت منفرد قلما تطرق ناحيته المارة، اقامت فيه مع ابنها في ضيق من العيش وعسر في الحياة فالدراهم القليلة التي كانت تحصل عليها بعمل يديها كانت لا تكاد تقوم باودهما. وقد قيض الله محسناً لسعيد ادخله المدرسة الثانوية حتى اتمها فخرج من المدرسة وفي النفس جراحات تسيل منها دماء الحقد والبغض للمجتمع واهله فما كانت علاقاته مع زملائه

الطلاب الا علاقة الحاقد بالهازىء والضعيف الثائر بالقوي المعتز

ولكن بقدر بغضه للناس كان براً بوالدته مخلصاً في حبها يجهد نفسه في مرضاتها وتسهيل امرها عطوفاً عليها، وكانت هي تعقد عليه كل آمالها وترى فيه كل ما ترجوه المرأة من الاب والاخ والزوج، كانت لا ترى معيناً لها في الحياة سواه فهو ذخرها وذخيرتها، وكم طغى على نفسها الفرح كلما تصورت ان ابنها عن قريب ينال الشهادة ويخرج الى العالم يجاهد ويكد ويأتيها بالعيش الرغد الهنيء، وان احلى ما في الوجود واشهاه عند الام ان تأكل من اتعاب وحيدها. وقرب ذلك اليوم واخذ سعيد يعد له نفسه واخذت الام ترقبه بنفس طافحة بالسرور وتبتهل الى الله ان يعجل به وان يقر به عينيها وان يحفظ لها ابنها. وجاء ذلك اليوم ونال سعيد الشهادة الثانوية وخرج الى الحياة والحياة كالبحر وفي البحر كبير السمك يأكل صغيره فهل تنفع الشهادة سعيداً في شيء وهو على ما هو عليه من ضعة حال وجهالة نسب؟ لا يمكنه ان يتجاهل الحقيقة اكثر مما تجاهلها يجب ان يعلم من كان ابوه ومن اين جاء الحياة وكيف جاءها. فذهب الى امه وقال لها:

«يجب ان تعلميني من هو ابي، يجب ان احمل اسمه واعلم خبره وان اكن اعلم انه لئيم نذل ولكن اسمك وحده لا يكفي. لقد شاركتهِ في خلقي وفي خلق اجرام ولكنك كفرتِ اذ تعذبتِ ١٨ عاماً في تربيتي والعطف علي، اما هو فقد ضنّ علي حتى باسمه، تكلمي يا امي، يجب ان اعرفه، يجب ان اناقشه الحساب، قولي، تكلمي، من هو ابي؟»

فقالت الام: اسمع يا سعيد اليوم اصبح من الواجب علي ان أُطلعك على سر بقي دفيناً كل هذه المدة. انت شقي يا بني، انت محروم من ان تفخر بابيك والاولاد عادة يرون في ابائهم المثل الاعلى للشرف والمجد والعظمة ويرون في

امهاتهم اسمى معاني الطهر والاخلاص و العفاف، فاصفح يا بني ان قلت لك انك ولدت من ام غرها ابوك عندما آنس منها سذاجة الاطفال وطهر الصغار. كنت احبه جهدي يا سعيد و كنت اظنه مخلصاً في حبه فالقيت بجسمي بين يديه وفوضت اليه امري وانا اعتقد انه عن قريب يقترن بي، ولكن لما اخبرته بانني اشعر بازدواج الحياة في غادر هذا البلد الى حيث لا اعلم، وبعد مضي سبعة اشهر وضعتك في بيت ابي فثارت حول البيت عاصفة من القيل والقال وقابل الناس ابي بالازدراء والسخرية واقبلت النساء على امي يسمعنها من الاقوال أمرها ايلاماً واشدهـا على النفس وقعا، فلا ابي استطاع ان يتحمل هذه الصدمة ولا امي عاشت بعدها طويلا، فاصبحت بعدهما وحيدة لولاك منبوذة من الناس يشار الي غمزاً و يشاح عني اشمئزازاً. فحتى اقرب الناس الي ابتعد عني. الاشقياء كثيرون في الحياة ولكن اشقاهم جميعاً من يشقى والجاني غيره، يتألم والمجرم سواه، يضرس وآكل الحصرم ابوه، وانت منهم، مظلوم انت يا سعيد وظالمك اقرب الناس اليك، شقي والذي اشقاك هو الذي كان حتاماً عليه ان يسعدك. ولكنك ضعيف فقير وليس للشقي الضعيف والمظلوم الفقير الا ان يصفح فالضغينة لا تجديك نفعاً والحفيظة لا تزيدك الا الما، فاصفح عنه. اما انا فحسبي تكفيراً ما ذقت من الوان العذاب وضروب النكر فقد تجهمت لي الحياة وتنكرت ما وسعها التجهم والتنكر، هذا هو السر يا ولدي وشريكي فيه هو ابوك صبحي شعلان».

كان وقع هذا الكلام على نفس الفتى شديداً فصمت قليلا ثم قال:

«اماه في مقابل كل دمعة انهملت من عينيك سوف يذرف حفنة من دموع سوف اناقشه الحساب واثأر لك ولي منه، سوف ابحث عنه واطالبه بدين لي في عنقه، ولكن يستحيل ان اصفح عنه»

ومضت الايام وكرت الليالي واذا بسعيد يلقي عصا الترحال في نيويورك

وقد وارى امه التراب واصبح بعدها لا تصله بالنـــاس صلة ولا تربطه بالمجتمع رابطة الا صلة الانتقام ورابطة البغض والضغينة . وبعد ان فقد امه غدا لا يفكر الا في العثور على ابيه والانتقام منه واصبح لا يستعذب الا ايذاء النـاس وايقاع الشر بهم

وفي نيويورك استخدم كاتباً في بيت تجاري ، ولحظ مدير العمل منه ذكاء خارقا فاحبه وائتمنه على اسرار المحل ، وسأله مرة عن اصله ونسبه فايقظ فيه هذا السؤال ضغينة اضمرها وضاعف فيه حبه للشر والاذى فعمد الى بعض الاوراق المهمة للحل واتلفها ، وحامت الشبهة حول مستخدم آخر وساعد هو على اثبات الشبهة حتى طرد ذلك المستخدم المسكين جزاء جرم لم يقترفه ، وتعددت حوادث الاتلاف والخراب وكان سعيد مسببها

ولكنه لم يلبث طويلا حتى ترك العمل وانتقل الى بلد آخر وهناك تعرف الى رجل سوري هبط اميركا منذ ٢٢ سنة قضاها في الجد والمجاهدة في الاسواق التجارية حتى نمت ثروته وتضخم عمله وتزوج من فتاة تكاد تكون طفلته ولم يرزق منها ولدا ، فلما تعرف الى سعيد مال اليه ووثق به واتفق معه على ان يساعده في العمل ولم يمضِ طويل زمن حتى كان سعيد يشارك الرجل في البيت والمتجر كانه ابنه

وعاودت سعيداً طبيعة نشأ عليها فمال الى الشر وهفا قلبه الى الاذى فكان كلما عم فضل الرجل عليه زاد اليه بغضاً والى الايقاع به حبا . وكثيراً ما سبب له الخسائر المـالية الجسيمة الا ان الرجل كان يحمل عمله على حسن النية فلم يكترث للخسائر وجعل ينبه سعيداً اليها برفق ويرشده الى تلافيها وهو يظن انه لم يقصدها بل اتاها عن جهل وقلة دراية . فلم يرض بذلك سعيد وراح يتمادى في الاذى والشر وصمم على الايقاع بشرف شريكه وسيده . لم يردعه عن ذلك رادع ..

وكانت زوجة صديقه صغيرة السن جميلة الخلق والخلق لطيفة المعشر طيبة النفس فجاءها سعيد يتودد اليها ويبثها غرامه المصنع فظنت هي في بادىء الامر ان ذلك ليس الا لنزق الشباب وطيشه فجعلت تلومه في رفق وتنصحه بلطف ان يكف عن ذلك اذ لا سبيل اليه وانها لن تخون زوجها ونصحته ان يبحث عن شريكة لحياته... وما زال بها يغريها وما زالت به تعامله بالتي هي احسن وتخلص في لومه ونصيحته حتى عيل صبره فعمد الى الحيلة يشفي بها غليل الحقد والشر

وكان يعلم ان لابنة عمها حبيباً كان الى عهد قريب يراسلها فتخفي رسائله عندها، وكان اسم بنتي العم «لطيفة» فاحتال سعيد حتى سرق رسالة من هذه الرسائل وذهب بها الى الزوج قائلا:

«يعز علي والله يا صاحبي ان اضطر الى اطلاعك على ما وقفت عليه، ولكن واجب الصداقة والاخلاص والفضل الذي لك عليّ واليد البيضاء التي اسديتها نحوي، كل ذلك يحملني على ان اطلعك على ما كنت اود ان لا يكون، ولكن عاهدني اولا انك لن تثور ولن تفقد صوابك ولن تؤذيها..»

فقاطعه الرجل صائحاً: «اوذيها؟ قل من هي. اسرع، ماذا تعني، لقد عاهدتك» فعاد سعيد الى الكلام فقال: «انك مغبون ايها الزوج الشقي، انك لا تكاد تولي زوجتك ظهرك حتى تبحث هي عن عشيقها تمنحه قلبها»

فقاطعه بغضب «انك تهذي يا هذا! اغرب من وجهي، كيف تجرأ ان تهين زوجتي». فقال الشاب «على رسلك يا سيدي ها انا ذاهب بعد ان اديت ما علي وها هو الدليل بين يدي...»

فاستوقفه قائلا: «لا تذهب قف، هات ما بيدك». فناوله الرسالة واذا فيها:

« حبيبتي لطيفة »

« رايتك فنفذت سهام لحظك الى صميم قلبي واحتل حبك ارجاء فؤادي، وها هو حبي ينمو ويزيد كلما قابلتك واختليت بك يا لطيفة، آه ما احلى هـــذا الاسم وما اعذبه على قلبي. فكوني رؤوفة وارحمي لوعتي واشفقي على شبـابي وتعالي الي عصر غد الى المحل المعهود حيث كنا نتقابل، اسرعي الى فتـاك فقد يقتله شوقه فلا تتحملي تبعة دمه، عن قريب يغدر به صبره وجلده فلا تكوني سبب جنونه، هذا فؤادي يا لطيفة ينـاديك وهذا قلبي يناجيك فهل تسمعين؟!

المحب حتى العبادة

س. ش.

قرأ الرجل هذه الرسالة المعنونة باسم لطيفة ابنة عم زوجته وهو يظنه اسم زوجته فلم يبق عنده شك في الخيانة فثارت ثائرة غضبه وخرج عن طوره. وقام من حينه الى البيت وتناول مسدسه واطلق منه ثلاث رصاصات اردت زوجته قتيلة فهوى تمثال الحسن والاخلاص وذهب ذلك الشباب الغض والزهرة اليانعة بنار الضغينة والحسد والخيانة. وخبا نور تينك العينين اللتين لم تتطلعا الى غير الخير ونضب معين ذلك القلب الذي لم يعرف الغدر ولا عهد له بالمنكر

واتفق ان رجال البوليس سمعوا دوي النار فخفوا الى مكان الحادثة وقبضوا على الزوج وهو متلبس بالجريمة فاقتادوه الى السجن. وزاره سعيد في سجنه واتفق معه ان لا يطلع القضاة على امر الرسالة بل يزعم ان السبب في قتلها هو لانه وجدها مرة تغري صديقه سعيداً. وما كان سعيد يرجو من هذه النصيحة الا ان يشهر بصديقه ويثلم عرضه ليروي بذلك غليل الضغينة الجائش في صدره. فتظاهر امامه بانه يرضى بهذه التهمة حبا في خلاصه

فلما مثل الرجل بين يدي القضاة وجاء دور الدفاع قـــال: « دنوت من حجرتها فسمعتها تبث صديق غرامها، ورأيتها تحاول ان تقبله وسمعته يقول لها « لا يا سيدتي، لا يمكنني، وخير لي ان اغادر هذا المكان من ان اخون صديقي، يجب ان اغادر بيتك في الحال اذ لا استطيع ان اقاوم اغراء جمالك ومعسول اغرائك». وسمعته يقول لها ذلك فاكبرت فيه نبل عواطفه وشريف محتده، رايته يهم بالخروج ولكنها امسكته وضمته الى صدرها رغما عنه وصاحت به: ارحم شبابي، وسكن لوعتي. ثم رأيتها ترتمي عليه فلم اتمالك نفسي وكان مني ما كان

ودعي سعيد فشهد بما اتفقا عليه وهو يعلم انها حجة واهية لا يقبلهـــا القانون. وناقشته المحكمة وناقشت القاتل فتضادت اقوالهما وتبين الكذب فحكمت على القاتل بالقتل. فتلقى الرجل حكم الاعدام بقلب ثابت لانه كان يعتقد انه يموت دفاعا عن الشرف والعرض وهما اثمن ما في الوجود

وكتب في السجن وصيته فاذا به يوصي بجميع امواله لسعيد وسجلت هذه الوصية رسميا. وقبل تنفيذ الحكم ببضع ساعات وصلت لطيفة من بلد كانت نازلة فيها وزارت صهرها في سجنه وطلبت منه ان يرشدها الى مكان الرسائل واطلعته على خبر هذه الرسائل، فاطرق الرجل طويلا وفتح الله بنور من عنده فتبين له غدر سعيد فلطم وجهه وصاح صوتا منكراً وجاء سعيد على اثر ذلك فقابله صارخا به:

« ويلك ما اعظم دهاءك، ما افظع غدرك، ما الذي زين لك الخيانة واغراك بالشر، ماذا جنيت نحوك وماذا اقترفت هي حتى اغريتني بها. ويل لي من الناس وويل لك من الله، هم لا يصدقون انني بريء وانك انت القاتل، يدك كانت قابضة على يدي عندما حركت المسدس. ارادتك كانت تضغط على ارادتي ساعة صوبته انت القاتل وانا المعاقب، انت المجرم وانا المأخوذ بجريمتك. »

وصمت الرجل كانه يرى شيئاً ثم عاد يقول بصوت لا حدة فيه ولا شدة:

« ولكن ... ولكن ... ربما اراد الله ان اكفر عن جريمة اخرى اقترفتها يوم كنت في بلدي ادعى « صبحي شعلان » ، فهل تغفر لي يا رب » .

وما كاد يقول ذلك حتى صاح به سعيد : « صبحي شعلان ؟!! ابي ؟ غادر امي ؟ سبب شقائي ، سالبني حنو الاب وشرف اسمه؟ صبحي شعلان الرجل البهيمي ؟ ويح اذني ما تسمع ! اذاً لقد انتقمت لامي وانهيت الحساب مع ابي انا ثمرة شهوتك الحيوانية ، انا ثمرة لؤمك ايها الرجل ، انا سعيد ابن الضحية التي غررت بها وضغنت عليها بما لها عندك من حقوق . انا ايها ...

ولكن صبحي شعلان قاطعه بصوت خائر ضعيف لا يكاد يصعد من اعماق الفؤاد حتى تخنقه العبرات فيتردد في جوانب الصدر

« كفى يا ولدي ، الان عرفت معنى حنوي نحوك . حبي لك ، لقد انتقمت العدالة مني وجازتني على ما اقترفت اشد جزاء وعاقبتني اصرم عقاب ، فهل يسعني بعد ذلك عفوك يا ربي . حسبي يا الله ان ولدي معاقبي والمنتقم مني . تعال يا سعيد ودعني اقبلك ، اصفح عني يا بني ودع روحي تصعد الى باريها بسلام ... ادنُ مني يا سعيد فانا ابوك مهما قسوت علي وانت فلذة كبدي مهما غدرت بك واجرمت نحوك . تعال قبل والدك يا سعيد فالموت يسرع اليه ، تعال الي وكفكف هذه الدموع المترقرقة في مقلتي تكاد تحرقها ، اقترب مني يا ولدي . ارحم اباك يرحمك الله

ولكن سعيداً كان غائب الذهن مشتت الخاطر لا يسمع ولا يعي ، وقد أُخذ بهول المأساة وروعتها . وقد انهملت الدموع من عينيه وهو الذي لم تدمع عيناه الا ساعة احتضرت امه بين يديه . وقام الى ابيه وهو لا يشعر بما يصنع فضمه اليه وامطره وابلا من القبلات وقد نسي الانتقام ولذته وخيانة ابيه لامه

ولما صحا وعاد اليه رشده نظر فاذا ابوه جثة هامدة

القدس ابو الخطاب

محاضرة نفيسة

يقيم في القدس هذه الايام الاستاذ ستانسلاف كورفن بافلوفسكي احد اساتذة الجامعات في بولونيا ومؤسس المعهد الشرقي في (وارسو) عاصمتها . وقد القى في الثالث عشر من كانون الاول الماضي في قاعة كلية روضة المعارف الوطنية في القدس محاضرة نفيسة في (بولونيا والشرق) كان لها اعظم وقع في النفوس لما اشتملت عليه من سني المطالب ومفيد المباحث ، ولا سيما فيما يتعلق بالشؤون الخاصة المرتبطة بالشرق والشرقيين . وقد لخصها للجمهور حضرة الاستاذ خليل بيدس فزادها رونقاً وتبسُّطاً . ثم ارسل بنسخة منها الى هذه المجلة منسوقة بقلمه الفياض . وها اننا ننشرها فيما يلي حرصاً على فوائدها ونشكر للاستاذ هذه العناية الخاصة . قال :

— ١ —

لكل امة في حياتها ادوار تاريخية ، واطوار خلقية واجتماعية ، وقوى كامنة وظاهرة . وكل امة ككل فرد تتطور كما يتطور كل فرد . من الحداثة، الى الشباب الى الشيخوخة . والباحث عن الامم ، ليعرف حالتها ومركزهـا ، لا يتسنى له الوقوف على الحقائق الراهنة عنها او عن كل منها الا اذا درس قواها وقابل تلك الادوار والتطورات بعضها ببعض

ان بعض الامم اليوم في حالة الشيخوخة او الهرم. و بعضها في حالة الشباب او الفتوة . بعضها بلغ نهاية طريق الحياة ، والبعض الاخر لا يزال في اول هـذا

الطريق . وهي حقائق صادقة لا يمكن نقضها . والتاريخ يؤيدها وطبيعة العمران تثبتها

والحديث الان عن احدى هذه الامم الفتية الناشئة ، عن بولونيا التي كانت لها صلات تاريخية كثيرة بهذا الشرق قد يجهلها الان الكثيرون . ولكنها اذا ظهرت واطلع عليها الجمهور المفكر، الجمهور الحي كالامة العربية ، وهي ايضاً من الامم الفتية التي نهضت لتسير في طريق الحياة، والتي لها مستقبلها ككل امة فتية،— اقول : اذا اطلع الجمهور على هذه الصِلات فقد يتأثر . وقد يعجب بما كان في ذلك الماضي القديم . وقد يعتبر بالعبر التي يلمسها . وقد يكون هذا الاطلاع لخير الامتين معاً

كل امة ناهضة تتوق الى معرفة اسباب النجاح في الامم الاخرى . وكل شعب حي يحب ان يكون على بصيرة من امر الشعوب الاخرى ، ليكون على هدى من شؤونه ، وليتقي العثرات التي كانت في طريق الامم الاخرى فزلت ودالت دولها

لكل امة إحصاءات نسبية كثيرة للمواليد والوفيات وعدد الشبان والشيوخ.. وهي تظهر بجلاء نسبة الامم بعضها الى بعض في اشواط الحياة التي قطعتها كل امة . وعلماء العمران في ابحاثهم هذه انما يعولون على امثال هذه الاحصاءات . فاذا اردت ان تعرف نمو امة مثلاً بالنسبة الى غيرها فانظر الى عدد المواليد في كل منها . انظر الى عدد الشبان والشيوخ . انظر الى نسبة الوفيات . . .

ان بعض الامم معدل التوالد والنمو فيها ١٦ ونيف في الالف (بولونيا) . وفي بعضها ١٢ (ايطاليا) . وفي بعضها ٦ (المانيا) . وفي بعضها ٥ (انكلترا) . وفي بعضها ٢ (فرنسا) . . . فتحكم حالاً ان بعض هذه الامم اسرع نمواً واطول بقاء ، والبعض الاخر ابطأ نمواً واسرع فناء .

ومن هذه الاحصاءات وسواها يمكنك ان تحكم لاول وهلة ان بولونيا هي الان في طليعة الامم الناهضة . وانها في طريق الحياة في مراحلها الاولى

واذا اردنا ان نعرف التفاصيل الاحصائية الاخرى عن الدول الاوربية فيمكننا ان نجعلها فريقين . احدهما يتّبع السياسة العالمية الكبرى (السياسة الاستعمارية) وهو فرنسا وانكلترا وايطاليا والمانيا وغيرها . والفريق الاخر يسير على السياسة القومية الاهلية المحضة، وهو اسوج ونروج وبولونيا والصرب وفنلندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها

والعجيب ان الفريق الاول مساحته في اوروبا اقل، اي مليونان و١٤٦ الف كيلومتر مربع . بينما الفريق الاخر مساحته اكبر، اي مليونان و٦٠٠ الف ك. م. وعدد سكان دول الفريق الاول ٢٣٣ مليوناً. والفريق الثاني ١٢٦ مليوناً. والفريق الاول جلُّ عمله التجارة والمعامل . والفريق الثاني عملهُ الاهم الزراعة وهو بها يعول الفريقَ الاول

وبولونيا من الفريق الثاني وهي اكبر دوله، لان مساحتها ٣٨٨ الف ك.م. وعدد سكانها اثنان وثلاثون مليوناً. نعم ان فنلندا مساحتها كمساحة بولونيا تقريباً، غير ان سكانها اقل من سكان بولونيا ثلاثة اضعاف . وقد تفوق بولونيا بعضُ الدول من الفريق الثاني بعدد المعامل او بغيرها ايضاً كاسوج مثلاً ، ولكن اسوج هذه او غيرها لم تخسر شيئاً في الحرب او قبل الحرب كما خسر البولونيون ولم يمض على استقلالهم الا مدة قصيرة كما لا يخفى

وتقع بولونيا في قلب الفريق الثاني من الدول الاوربية . فلها والحالة هذه مزية خاصة وتأثير غير قليل بالنسبة الى جاراتها والى غيرهن من الدول الاخرى

وهي مشهورة بغناها الطبيعي . ففيها يكثر الفحم والنفط والملح على انواعه والحديد والزنك والرصاص . وفيها الان معامل كثيرة للثياب والالات الحديدية

واقلام الرصاص والصابون والورق والزجاج والحرير الصناعي والسكر . وهي تُصدر مقادير كبيرة من السكر الى انكلترا والى غيرها ، ولعلنا نستعمله هنا ونحن لا ندري انه من بولونيا . وهذه المعامل ترسل بمصنوعاتها الى كثير من جهات اوربا وآسيا وغيرها

اما الوارد الى بولونيا فهو البرتقال والليمون والزبيب واللوز والجوز والتمر والزيت والزيتون والسيرج وغير ذلك . واذا كانت بولونيا تأخذ حاجتها من هذه الاشياء بالواسطة فما الذي يحول دون التبادل بينها وبين الشرق رأساً ؟

واني لأَذكر ان الجمهورية التركية طلبت سنة ١٩٢٥ من بولونيا ان توفد اليها جماعة من المهندسين لمد السكك الحديدية في بلادها ولبعض معامل الصناعة فأوفدت اربعين مهندساً لذلك ، وغيرَهم لغير ذلك من المشاريع

— ٢ —

ننتقل الان الى الكلام عن بولونيا من جهة حالتها النفسية ونقدم للجمهور صورة كاملة عنها بامثلة قليلة توضح المراد . ونكتفي لذلك بذكر اسماء بعض الابطال والنوابغ الذين عاشوا في القرنين الاخيرين وكان لهم علاقة او بعض العلاقة بالشرق

فمن هؤلاء الابطال الجنرال (كوستوشكو) والجنرال (بولاسكي) وقد ارتحلا الى الولايات المتحدة الاميركية في ايام محنتها وساعداها لنيل استقلالها . فخدما في الجيش الاميركي واشتركا في تنظيمه وأبليا في الحرب بلاء حسناً يعترف به الاميركيون . وقد اقاموا لهما عدة تماثيل . ولهما ذكرى سنوية في جميع الولايات المتحدة

ومنهم الامير (جيفوسكي) . عاش في اواخر القرن التاسع عشر في

(نجد) واختلط بقبائل العرب هناك حتى صار له المقام الرفيع بينهم ، فاختاروه اميراً لهم واطلقوا عليه اسم « الامير تاج الفخر »

ومنهم الجنرال (دفيرنيتسكي) والجترال (بيم) . وقد اشتركا ، ومعهما جمهور من البولونيين ، في حرب المجر ضد النمسويين ، يوم قامت المجر تنشد استقلالها . فكان (بيم) القائد العام في تلك الحرب للجيوش المجرية . فانتصر على النمسويين في عدة مواقع . غير ان روسيا هبت وقتئذ تشد ازر النمسا ، ففازت . وترك بيم ميدان القتال الى تركيا فانضم الى جيشها هو ومن معه من الرفاق واسلموا. ثم مات هذا الرجل العظيم ودفن في حلب

ومنهم (تشايكوفسكي) وهو المعروف في تركيا باسم صادق باشا . و (كوستيلسكي) وقد عُرف باسم سفير باشا . وكلاهما دخلا في خدمة الدولة العثمانية واخلصا لها الخدمة

ومنهم (ياكوبوفسكي) وقد اشتهر في الحرب التي اعلنتها روسيا على الجركس سكان القفقاز . وكان ياكوبوفسكي قد انضم الى البطل (شاميل) المشهور وتولى له ادارة المدفعية وتنظيم الجيش

ومنهم الكونت (ايلينسكي) وكان مسلماً . وقد ذاع صيته واشتهر امره يوم شبت الثورة الروسية الاخيرة (سنة ١٩١٧) فقد اسرع ومعه جمهور من الاعوان الى شبه جزيرة القرم ، وكانت قد نادت بالاستقلال واصبحت جمهورية تترية ، فانتخب رئيساً لحكومتها . غير ان البلاشفة لم يلبثوا ان زحفوا بخيلهم ورجلهم فحاربوا هذه الجمهورية واكتسحوها . ففر سولكفتش المذكور الى اذربيجان وتقلد رئاسة اركان الحرب في الجيش الوطني هناك . وانتهى به الامر اخيراً بان قبض عليه البلاشفة وقتلوه رمياً بالرصاص

ومنهم (احمد اخماتوفتش) وقد كان الوزيرَ الاول العدلية في جمهورية القرم

ومنهم اخوة ثلاثة مسلمون من اسرة (كريتشينسكي) انضموا الى جيش اذربيجان وعُـنوا بتدريبه وتثقيفه ، وهم الان في بولونيا يشتغلون لخير بلادهم

ومنهم (المحاضر نفسه) وقد انضم الى الامام (علي حجي) امير القفقاز الشمالي فتولى له تنظيم الدفاع وقيادة بعض الفرق سنة ١٩١٩ الى ان انتهى كل شيء وساد البلاشفة على جميع تلك الاصقاع

ومنهم كثيرون غير هؤلاء . وقد قام كل منهم بقسطه من البطولة ، يدفعهم الشعور الانساني المحض او تدفعهم تلك الحرية التي كانوا يحنّون اليها وهم تحت نير ذلك الاستعباد الثقيل الطويل . وحسبهم فخراً ان تذكر بولونيا بالخير في كل مكان ظهر فيه اولئك الابطال . كما انها تُذكر على الدوام اسماء الابطال الذين ساعدوها في ثوراتها لنيل استقلالها ، كما فعل البطل (نولو) الطلياني ، وقد تطوع في خدمة جيش الثورة البولونية سنة ١٨٣٠ وكان من امره اخيراً ان قبض عليه الروس وقتلوه

— ٣ —

اخذت بولونيا تتعرف بالشرق منذ القرون الوسطى . وشرعت بعض المدارس العليا هناك تدرس اللغات الشرقية كالعربية والتركية والفارسية والايرانية وغيرها. واشتهر نفر من العلماء المستشرقين بترجمة الشعر الشرقي الى اللغة البولونية. وقد أُعجب شعراء البولونيين بالادب الشرقي فجاءوا الى الشرق لاجل ذلك ووصفوا المعيشة الشرقية وتغنوا بالمحاسن الشرقية . واشهر من يذكر من هولاء (ميتسكيفتش) و (سلوفاتسكي) وهما اعظم شعراء البولونيين على الاطلاق فقد نظما القصائد المشهورة عن حياة العرب . ومن ذلك قصيدة (سلوفاتسكي) المعروفة باسم (فارس) . وانشا الملك (بونياتوفسكي) مدرسة عالية في الاستانة لدرس احوال الشرق ولغاته

ومن العلماء الذين درسوا الشرق وابدعوا في الكتابة عنه ، وخدموا امتهم بما نقلوه الى لغتها من كتب الشرق :

كوفاليفسكي وقد الف معجم اللغة المغولية . وبتراشيفسكي — معجم اللغة الفارسية . وسيكوفسكي — المعجم العربي التركي . وبرسودسكي اخو الدكتاتور البولوني المشهور درس لغات بعض الجزائر في جهات اليابان والف فيها

واشهر روائيي البولونيين في العصر الاخير هنريك سينكيفتش مؤلف رواية كوفاديس (الى اين) المشهورة والمترجمة الى اكثر لغات العالم المتمدن ، فقد كان من جهة الاب من تتر بولونيا . والاستاذ المحاضر امه تترية

— ٤ —

منذ القديم واوربا تتصل بالشرق من طريقين. احدهما الشمالي وهو يبتدىء من اواسط اسيا فيمر بايران الى بحر قزبين الى سهول اوكرانيا وينتهي ببولونيا وجبال الكاربات . والطريق الثاني الجنوبي وهو يبتدىء من جزيرة العرب ثم يجتاز الاناضول وبلاد اليونان ، وينتهي ببلاد المجر

على هذين الطريقين كان انتقال الشعوب وهجرتهم في القرون الوسطى

ولما كان القرن الثاني عشر زحف جنكزخان بجيوشه الجرارة الى اوربا . وقد اكتسح كل اسيا . ثم اوربا الشرقية الى ان وصل اخيراً الى بولونيا . فوقفت بولونيا في وجهه . وبعد معارك دموية كثيرة عاد عنها شرقاً واحتل كل البلاد المعروفة اليوم بروسيا

وكانت مملكة جنكزخان عظيمة جداً مترامية الاطراف كثيرة الامم المختلفة فلم تبق طويلا ونشب الخصام بين امرآء البيت المالك فيها فتفككت . ونشأ على انقاضها في اوربا الشرقية بضع ممالك تترية مستقلة كقازان واستراخان والقرم .

ولم يمض زمن طويل على ذلك حتى كانت علاقات الود والصداقة بين هذه الممالك التترية وبولونيا. وكانت بولونيا ارغب الجميع في هذه الصداقة للحيلولة دون تكرار الزحف عليها وعلى اوربا الغربية من جهات آسيا

غير ان بولونيا كانت في هذا الوقت مهدَّدة بالزحف الالماني عليها من جهة الغرب. وشتان بين الزحفين. لان المغول لم يكن يهمهم من الزحف والحرب الا السيادة. اما الالمان فكانوا منذ القدم يرمون الى اجتياح الشعوب وابادتها وادغامها في الامة الالمانية. ومن الادلة على ذلك ان مدينة برلين نفسها عاصمة المانيا انما نشأت في ارض سلافية محضة. وقد بقي من سكان تلك الجهات قبيلة صربية احتفظت بقوميتها حتى الان وعدد نفوسها نحو ستة الاف

زحف الالمان من الغرب الى الشرق. وبولونيا ايضاً هي التي وقفت في وجههم وحالت دون تقدمهم

وقد ساعد التترُ البولونيين في مكافحتهم الالمانَ الى ان كانت معركة (غرنفالدن) الحاسمة المشهورة التي انتصر فيها البولونيون وحلفاؤهم التتر، بقيادة ملك بولونيا، وقضوا على الطمع الالماني

هؤلاء التتر، الذين صدتهم بولونيا عن اوربا، قاموا الان يساعدون البولونيين على صد الالمان وحلفائهم الاوربيين عن بولونيا

واخذ التتر من ذلك الحين يهاجرون الى بولونيا ويستوطنونها. وكانت الحروب الاهلية التي نشبت بين امراء التتر في بلادهم اكبر دافع لهم على هذه الهجرة. وكان لهم في بولونيا الحرية المطلقة والحقوق الكاملة التي للبولونيين. وكان لهم جيشهم الخاص واراضيهم الخاصة. وقد خولهم القانون المحلي التزوج بالبولونيات

وفي القرن الخامس عشر ظهرت الدولة الروسية متحدةً . وادركت بولونيا الخطر الجديد العظيم من جهة هذه الدولة ، فرأت ان تحكم رباط الصداقة والمحالفة مع التتر ضد الدولة الروسية الناشئة

غير ان الخلاف كان على اتمه بين امرآء التتر . وقد تصدعت عصاهم وانفصمت عُراهم ، فسهل على روسيا ان تتغلب عليهم و تستولي على بلادهم . ولم يبق مستقلاً من ممالكهم الا (القرم) وذلك بفضل يقظة اميرها (الخان غيري) المشهور الذي يحدثنا التاريخ بانه ولد ونشأ في بولونيا

وفي هذا الوقت ظهر الاتراك بقوتهم واخذوا يزحفون من الجنوب والشرق الى اوربا وقد هجموا على القرم . وادركت بولونيا هول هذا الخطر وخافت ان تخسر حلفاءها التتر فنهضت لمساعدتهم . غير ان هذه المساعدة لم تُجدِ، واستولى الاتراك على القرم ، ولكنهم أبقوا لها استقلالها الداخلي تحت رعاية السلطان

ومضى الاتراك في زحفهم . فهجموا على الصرب والمجر وغيرهم من الامم السلافية الجنوبية . فاضطرت بولونيا ان تساعد هؤلاء الاقوام لانهم ساعدوها في مصائبها وكانوا حلفاءها ضد الالمان . وكانت علاقة بولونيا بالمجر علاقة ود ووفاء حتى ان احد امراء المجر اختير ليكون ملكا على بولونيا . ولما أُرغمت اسرة احد ملوك المجر (كورفن) على التنازل عن حقوق العرش هاجرت الى بولونيا ولا تزال ذرّيتها هناك حتى اليوم

وهنا قامت الحرب على ساق وقدم بين بولونيا والاتراك ، واستمرت مدة طويلة . وقد قتل في بعض المعارك احد ملوك البولونيين (فلاديسلاف) في بلغاريا وهو يدافع عنها . واخيراً، في القرن السابع عشر ، انتصر الملك (سوبيسكي) البولوني على الاتراك عند مدينة (فينا) وانقذ المجر كلها واعاد اليها استقلالها وحمى اوربا الغربية من هذا العدو الجديد كما حماها اسلافُـهُ من التتر

وعاد الامر فتكرر كما كان في عهد التتر. اذ لم يمض على ذلك الا نحو مئة سنه حتى قامت اوربا الغربية، ومعها النمسا التي انقذتها بولونيا من زحف الاتراك، تساعد على اقتسام بولونيا. فقام الاتراك يساعدون البولونيين اقوى مساعدة، كما ساعدهم التتر في دورهم

نعم ان حروبا دموية كانت قد جرت بين بولونيا والاتراك كما رأينا قبل هذا، ولكنها لم تكن الا حروبا سياسية محضة، فلم تبق اثراً سيئاً بين القوميتين ولذلك فلما زالت الاسباب رات الامتان ان الخير كل الخير في التحالف والاخاء وتركيا هي الدولة الوحيدة التي لم تعترف باقتسام بولونيا. وكان البولونيون يهاجرون الى تركيا فيستقبلهم الاتراك بالترحاب ويكرمون وفادتهم. وفي الاستانة دُفن دكتاتور الثورة البولونية الاخيرة التي هبت سنة ١٨٦٣. ودفن ايضاً اعظم شعراء البولونيين (ميتسكيفتش)

ومن الحوادث التي نشير اليها هنا، وقد تكون من الطرائف السياسية النادرة، ان الصدر الاعظم العثماني كان في كل احتفال رسمي في القصر السلطاني اذا اجتمع ممثلو الدول لتهنئة السلطان يتقدم فيعلن بقوله: «ان سفير بولونيا يا صاحب الجلالة لم يحضر هذه الحفلة لاسباب خاصة مشروعة» فلما استقلت بولونيا، بعد مئة وثلاثين سنة من اقتسامها، وعين لها سفير في الاستانة اسوة بالدول الاخرى، اعلن الصدر الاعظم في اول احتفال حضرة هذا السفير: «ان سفير بولونيا يا صاحب الجلالة قد حضر هذه السنة وزالت الاسباب التي كانت تحول دون حضوره»

— ٥ —

ننتقل الان الى القسم الاخير من هذه المحاضرة ونجعله خاصاً بوصف حالة

التتر المسلمين في بولونيا . فقد كان عددهم قبل اقتسامها نحو اربعمئة الف نسمة . غير ان هذا العدد اخذ يقل شيئاً فشيئاً منذ اليوم الذي بسطت فيه روسيا والمانيا والنمسا ايديهن على البلاد وصار البولونيون يهاجرون زرافات الى اميركا والى غيرها من الاقطار هرباً من اضطهاد الروس والالمان

وقد الغي في البلاد منصب القاصد الرسولي البابوي. ومنصب المفتي الاكبر. واقفلت المدارس الاسلامية. واخذت روسيا تعين ايمة الدين الاسلامي من روسيا نفسها — من الذين تخرجوا في المدارس الاسلامية الروسية وأُشربوا الروح التي تريدها روسيا

فلما استقلت بولونيا الان لم يجد اولو الامر العدد الكافي من الايمة للاضطلاع بالمهام الاسلامية ، ولكن هذا لن يطول

وللمسلمين الان في بولونيا تسع عشرة دائرة ، ولكل دائرة إمامها . وقد بذلت الهمة لفتح المدارس وانشاء المساجد وباصلاح كل ما هو في حاجة الى الاصلاح منها وقدمت بلدية (وارسو) مؤخراً ارضاً رحبة للمسلمين ليشيدوا مسجداً لهم في العاصمة

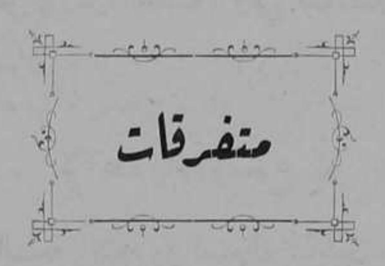
والمسلمون يتمتعون في بولونيا بجميع الحقوق المدنية التي للبولونيين انفسهم. ومنهم اساتذة للجامعات وقضاة للمحاكم

* * *

هذه هي بولونيا كما وصفها الخطيب المحاضر منذ كانت حتى الان . وهذه هي التطورات العجيبة التي مرت بها في هذا الدهر الطويل . لم تيأس . ولكنها لم تنم. وظل رجالها البررة وزعماؤها الابطال يجاهدون في سبيل حريتها ويطالبون باستقلالها الى ان ظفرت به اخيراً كاملا غير منقوص فظهرت الى الميدان دولة

ضخمة لها مكانتها ولها مستقبلها . ولقد عُنيتُ بتعريب هذه المحاضرة للقرآء عناية خاصة وانا ارجو ان تكون لابناء الشرق درساً مفيداً او عبرة من العبر النافعة والله من وراء القصد

(المعرب)



﴿ برنارد شو ﴾

اذاعت الصحف نبأ مجيء (برنارد شو) الكاتب العظيم الى مصر. ويؤخذ مما تناقلته عنه انه الان في السادسة والسبعين من عمره وانه لا يأكل لحماً بل يقتات بالنبات و يعتقد ان الاجيال القادمة كفيلة بتحقيق امانيه واحلامه الانسانية التي يدعو اليها وهو يربح الوف الجنيهات من القصص التي يكتبها ومن الدرامات التي تمثل في المانيا والولايات المتحدة اكثر مما تمثل في انكلترا نفسها. وقد يأخذ اربعة شلنات عن كل كلمة مما يكتبه من المقالات والمباحث والقصص ، وقل من نال مثل هذا الربح من الكتاب والمؤلفين . فان اقصى ما ناله (كبلنغ) الشاعر هو شلنان عن الكلمة ، وكان الثمن المعروف شلناً لكل كلمة . وكان (ارنولد بنث) يحاسب الجريدة التي تأخذ منه مقالا بالكلمة ، فاذا زادت المقالة اربعة او خمسة اسطر ورفض مدير الجريدة ان يؤدي ثمنها قعد ارنولد بنت وحذف من المقالة

هذا المقدار حتى لا يترك للجريدة كلمة زائدة بلا ثمن

وقد ولد برنارد شو في ارلندا من والدين فقيرين، ودخل المدرسة، ثم تقلب في عدة وظائف كتابية في مكاتب المحامين وغيرها. وظل يقرأ ويطالع ويغذي بالكتب والعلوم والمباحث الفلسفية ما كمن في اعماقه من مواهب وما استسرّ في نفسه من نبوغ عبقري حتى بلغ هذه المرتبة السامية واستوى على ذرى المجد والخلود بما تنطق به آثاره العظيمة، وهي قبلة انظار رجال العلم والادب وارباب الفلسفة والفنون

﴿ عدد ايام الاسبوع ﴾

الاسبوع ذو السبعة الايام من استعمال البابليين، وقد عم استعماله جميع الاقطار. وأقدم منه استعمالا الاسبوع ذو الخمسة الايام، وذو العشرة الايام وقد كان شائعاً عند اكثر امم العالم القديم. فالفُرس والسيكانديناڤيون واهالي المكسيك استعملوا الاسبوع ذا الخمسة الايام، ولا يزال استعماله شائعاً حتى اليوم عند اهالي جزيرة جافا والامم الزنجية في غينيا. وقدماء اليونان والصينيين والمصريين استعملوا الاسبوع ذا العشرة الايام. واستعمال الاسبوع على هذه الصورة مأخوذ من عدد اصابع اليد واليدين، وهو اقدم تقويم ظهر في العالم

﴿ زنابق الحقل ﴾

من كتاب ظهر هذه الايام لحضرة الكاتب القدير والشاعر المتفنن الاستاذ اسكندر افندي الخوري احد قضاة الصلح في فلسطين، يتضمن فصولا اجتماعية ادبية وحقائق وعبراً كثيرة ومباحث لغوية. وكان قد نشر بعض ذلك في كتاب على حدة قبل الحرب العامة واعاد الان طبعه فجاد كتاباً كبيراً كله فوائد

وطرائف . ومن ذلك فصل بعنوان (زنابق الحقل) نقتطف منه لهذا الجزء من مجلتنا شيئاً . قال :

٭ الناس اليوم ليسوا بابناء الطبيعة بل ابناء الازياء والموض

٭ هذه العبارة — (الناس وُلدوا احراراً) — لهجة مبتذلة لا معنى لها . والدليل على كون الناس ولدوا عبيداً للحياة هو (الزواج) فانه يطبع الجنسين القوي والضعيف بطابع العبودية

٭ خلق الناس ليعيشوا في عالم الحركة والعمل لا في عالم السكون، ولا يعيش في السكون الا الموتى

وقال الشاعر :

ليس مَن مات فاستراح بميت
انما الميت ميتُ الاحياء

٭ قال صبي اسرائيلي لابيه : ما ذنبنا يا أبي حتى غضب الله علينا وجعلنا مشتتين بين الشعوب ؟ . فأجابه ابوه : لم يغضب الله علينا يا ولدي ولكنه غضب على باقي الشعوب . ولذلك فانه لم يجد عقابا لهم اشد من وجودنا بينهم

٭ بعض الناس تأكل عقولهم من اجسامهم وهؤلاء هم نحيفو البنية من الاحساسيين . والبعض الآخر اجسامهم تأكل من عقولهم . وهذا البعض هم ضخام الجثة من الانانيين الجامدين

﴿ الفطنة ﴾

كان المستر (اولني) احد اقطاب حكومة الولايات المتحدة السابقين وكان سكرتيراً للحكومة قد اوجب على كل من يريد ان يعين قنصلا لحكومة اميركا

في احدى الجهات ان يكون عارفاً بلغة الاهلين هناك ، وقد جاءه في بعض الايام احد طلاب هذه الوظيفة والتمس تعيينه قنصلا في الصين (ولم يكن يعرف كلمة من لغتها) . فقال له اولني : اظنك لا تجهل القانون القاضي على كل قنصل بمعرفة لغة البلاد التي هو منطلق اليها . فهل تعرف اللغة الصينية ؟ . فأجابه بثبات جاش سلني ما تريد بهذه اللغة يا سيدي . وكان اولني لا يعرف شيئاً من اللغة الصينية فعين الطالب قنصلا وهو يظنه احذق جميع الاميركيين بمعرفة هذه اللغة . . .

﴿ العام الجديد ﴾

ايها العامُ مرحباً بالمنى فيك والاربْ
قل فما انت حامل بين بُرْدَيك من عجبْ ؟
راية السلم ، ام ترُى راية الحرب والحَرَبْ ؟
فائتلافاً به المنى ام خلافاً به العطبْ ؟
ايها العامُ هل أرى راحةً فيك ام نَصَبْ ؟
أصديقاً فتُرتجى ام عدوًا فتُجتَنَبْ ؟
كن كما تشتهي فلا رغبة فيك ام رَهَبْ

« الياس فياض »

﴿ من امثال العرب ﴾

(أتبع الفرسَ لجامَها) — مثل يُضرَب في اتباع امرٍ بآخر . قاله عمرو بن ثعلبة الكلبي . وكان ضرار بن عمرو الضبي قد اغار عليهم فأصاب منهم مالاً وسبى نساءً . وكان في السبي أمة لعمرو يقال لها الرائعة وابنتها سُلمى بنت عطية بن وائل فخرج عمرو في اثر ضرار وكان صديقاً له فقال : أنشدك الاخاء والمودة إلاَّ رددتَ عليَّ مالي . فجعل يردُّ شيئاً فشيئاً حتى بقيت سلمى وكان قد ردَّ امها ولم

يشأ ان يردَّها لانها كانت قد أعجبته . فقال عمرو يا ابا قبيصة أتبعِ الفرسَ لجامَها. فارسلها مثلاً

﴿ أكرم من حاتم طي ﴾

سُئل حاتم طي : هل رأيت اكرم منك؟ فقال : كنتُ أتنزه ذات يوم في البرية مع بعض الاصدقاء ، فرأيت رجلاً يجمع عشباً يابساً للوقود ، فقلتُ له : اذهب الى بيت حاتم طي حيث يوزعون الان خبزاً ولحماً . فأجاب : ان الذي يقدر ان يأكل خبزه بعرق جبينه لا ينبغي له ان يحمل جميل غيره . . . فهذا الرجل اكرم مني

﴿ غانية فقيرة ﴾

شكت فقرها فبكت لؤلؤاً
تساقط من جفنها فانتثرْ
فقلتُ مشيراً الى دمعها
أفقرٌ ، وعندكِ هذي الدررْ؟

« بشاره الخوري »

﴿ خواطر ﴾

* خلق الله العالم كله واستراح . وخلق الله الرجل واستراح أيضاً . ثم خلق المرأة . ومذ ذاك لا استراح هو ، ولا استراح الرجل «رأي اميركي»

* الرجال ثلاثة : حازم ، وأحزم منه ، وعاجز . فالحازم مَن اذا نزل به الامر لم يدهش له ، ولم يذهب قلبه شعاعاً ، ولم تعيَ به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه . وأحزم من هذا المقدام ذو العدَّة ، الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظّمه إعظاماً ويحتال له حيلةً حتى كأنه قد لزمه ، فيحسم الداء قبل ان يُبتلى به

ويدفع الامر قبل وقوعه . واما العاجز فهو في تردُّدٍ وتمنٍّ وتوانٍ حتى يهلك
«ابن المقفع»

* يجب علينا ان ننتحل أعذاراً للجميع : للاولاد لانهم صغار . وللنساء لانهنَّ ضعيفات . وللحكام لان مهامهم عظيمة فلا بُدَّ لهم من الخطأ . وللصالحين لانهم لا يقصدون الاساءة . وللاشرار لانهم يستحقون الشفقة لان الشقاء مستقبلهم «سنيكا»

* اذا لم تكن سعيداً ، فذلك لانك تطلب ما ليس لك ، وتنسى ما عندك
«شكسبير»

* كثرة الكلام تذهب بجوهر الافكار ، وما تبرح تحوّل ذهبها الى دراهم زائفة حتى يظهر صاحبها فقيراً «كارمن سيلفا»

* انما ينشىء الجريدةَ مشتركوها لا محرّروها «جيراردين»

آثار أدبية

(مجلة روضة المعارف) — هي مجلة مدرسية علمية أدبية تهذيبية يقوم بتحريرها نخبة من أساتذة كلية روضة المعارف الوطنية وطلبتها . جاءنا الجزء الاول من سنتها الخامسة مشتملاً على كل مفيد ورائق من المقالات المفيدة والنبذ الرائقة . وهي تصدر مرة كل شهرين في ست واربعين صفحة كبيرة وقيمة اشتراكها ثلاثون قرشاً فنرحب بها ونرجو لها مزيد النجاح

(مجلة كلية ترّا سانطا) — مجلة أدبية علمية اجتماعية مدرسية ينشئها بعض اساتذة وطلاب كلية ترّا سانطا في القدس ويصدرونها ثلاث مرات في السنة . وقد جاءنا العدد الاول من سنتها الثالثة موشىً باقلام محرريها النجباء فنهنئها ونرجو لها حياةً طويلة في عالم الادب

